التبادل الحضاري بين الشرق والغرب
إبَّان الحروب الصليبية

أ.د. عبد الرحمن حسين العزاوي
م.د. محمد عبد مرزوك بشير
الجامعة العراقية–كلية التربية للبنات

التبادل الحضاري بين الشرق والغرب أبان الحروب الصليبية

أ.د. عبد الرحمن حسين العزاوي

م.د. محمد عبد مرزوك بشير

ملخص البحث:

تتناول هذه الدراسة التبادل الحضاري الذي نتج عن التقاء الغرب الأوربي المسيحي بالشرق العربي الإسلامي لزهاء قرنين من الزمان وذلك فيما اصطلح على تسميته بالحروب الصليبية، إذ شاءت الأقدار أن يلتقي الطرفان وسط أجواء صراع مرير وعلى كل المستويات .

ولقد عمدت هذه الدراسة على تبيان التأثير المتبادل للفريقين على بعضهما، والذي حصل نتيجة الاحتكاك المباشر وغير المباشر بينهما ومن ثم الوقوف على حجمه وآلياته ومجالاته وذلك بوضعه على بساط البحث والاستقراء والاستكناه والاستنتاج .

حيث شمل البحث حجم التبادل الأهم الذي حدث بين الشرق والغرب اذ وقفت الدراسة فيه على محاور التبادل في مجالات اللغة والدين وكذلك التبادل في المجال الطبي(العلوم الصرفة) .

وأوردت الدراسة حوادث عديدة وحيثيات وحقائق أوضحت بمجملها كنه هذا التبادل ومستواه بين مجتمعين مختلفين في جل مفاصل الحياة والحضارة والتاريخ اجتماعيا واقتصاديا ودينيا ، مما أعطى لهذه الدراسة نكهة خاصة من خلال وقوفها على منتج حضاري اتسم بالتنوع .

ثم خلصت الدراسة إلى مجموعة نتائج أوضحتها طبقا لرؤيتها وما وقفت عليه ورشح لها من معلومة.

Abstract:

This study addresses the cultural exchange that resulted from the confluence of the West European Christian Arab-Islamic Middle approximately two centuries and has been termed the Crusades, as a quirk of fate that the parties meet Amid a bitter struggle and at all levels.

And it has actually this study demonstrate the mutual influence of the two teams on each other, which happened as a result of direct contact and direct them and then stand on the size and dynamics of the fields and placing it on the table and extrapolation, Alacetknah and conclusion.
Where research involved the size of the most important exchanges occurred between East and West as it stood study in which the axes exchanges in the areas of language and religion (ideological exchange), as well as exchanges in the medical field (pure science.(
The study reported numerous incidents and the merits and facts explained as a whole, but this exchange between two different level in almost all the joints of life, civilization and history, socially, economically and ideologically, which gave the study a special flavor by standing on the product of civilization marked by diversity.
Then study concluded group results clarified in accordance with the vision and informed and nominated her information obtained

المقدمة:

يتكامل الجهد البشري في نتاجه بمختلف المجالات عندما تتلاقى التجمعات البشرية تحت أية مظلة، وان كانت حربا طاحنة تأتي في أحيان كثيرة على جهود قرون أو عقود من البناء الحضاري لإحدى القوى المتصارعة ، وإذا كان مجرد اللقاء بين التجمعات البشرية ولفترات طويلة نسبيا متمماً لتلاقح الأفكار وتصاهرها بين المشارب المختلفة من البشر ،فان الذي يجمع الجيوش المتقاتلة تتصدره في كثير من الأحيان مهمة ابتزاز الآخر واستغلاله وفي كافة المجالات ، إما للحاجة المباشرة من قبل احد المتقاتلين ميدانيا أو لنَقلِ ذلك الجهد والنتاج إلى بلديهما ليفادا منه هناك، ناهيك عن الاستفادة المباشرة اليومية في حياة مدنية يلتقي فيها الفريقين سيما أوقات الهدنة بينهما.

ففي نهاية القرن الخامس الهجري /الحادي عشر الميلادي شهد الشرق الإسلامي حملات متتالية لاحتلاله من قبل الغرب المسيحي وفق آلية غربية معدة سلفا تطلب القيام بها جهدا بشريا واقتصاديا وأفكار ألقت بظلالها على تلك الحملات حتى سميت دون سواها من فترات الصراع بين الشرق والغرب بـ(الحروب الصليبية) ،ذلك أنها رفعت شعار الصليب كناية عن هذه النزعة ومعضَّدَةً بتوجيه مباشر من الكنيسة .

ومما ساعد هذه الأفكار في أن ترسم طريقها سريعا لتتسيد مشهد هذه الحروب أن هذه الحروب قد دارت رحاها على أراض يقدسها اليهود والنصارى والمسلمين وفق نضرة مختلفة للأديان الثلاثة في أحقية حيازة هذه الأرض والسيطرة عليها ، ولقد نتج عن هذا القدر من الاختلاف تأثيرات متبادلة كان لها وقع على حياة الشرق والغرب وفي مختلف نواحي الحياة[١]

ولقد اختلفت آراء المؤرخين شرقيين ومستشرقين في قيمة التبادل الحضاري بين الشرق والغرب وآلياته وماهية نتائجه وحجم قطافه على الفريقين، وفي هذا السياق يورد المستشرق برنارد لويس كلاما لراهب فرنسي كان ممن قدم مع الحملات الصليبية فأرخ لها وهو فوشيه دي شارتر(١٠٥٨-١١٢٧م)حيث يبان فيه حجم التغيير الذي طرأ على حياة القادمين الجدد إلى الشرق الإسلامي إذ يقول "الآن صرنا نحن الذين كنا غربيين، شرقيين ومن كان منا ايطاليا أو فرنسيا ، أصبح في هذه البلاد جليليا أو فلسطينيا ، والذي كان من مواطني رمس أو شارتر أصبح الآن صوريا أو إنطاكيا ، لقد نسينا الأماكن التي ولدنا فيها ..."[٢] .

والذي يقف على هذا النص يدرك أن ما استحوذ عليه الصليبيون في بلاد الشام وغيرها هو أفضل من مستقراتهم الأولى في أوربا ، وان هذه الأفضلية وهذا التمايز بحد ذاته مدعاة للاقتباس الحضاري من الديار الجديدة.

ووفق هذا وغيره ستمضي هذه الدراسة بما يعضد رؤيتها والتي بنيت على ما خلص لها من معلومة في أن قيمة ما اقتبسه الغرب من الشرق يفوق ببون شاسع ما أخذه الشرق من الغرب في مختلف مفاصل التبادل ،ذلك أن حضارة الشرق – وعلى اضطراب أمور ساستها وأهلها في تلك الفترة– كانت حديثة عهد برفعه ورقي فاقت به كثيرا الانحدار الذي انتاب الغرب والكنيسة وانعكاساته عل مجمل حياة الأوربيين .

ولهذا فقد انسابت حضارة الشرق برفعتها عبر هذا المعبر المضطرب –بلاد الشام –وبفترة زمنية ليست بالقصيرة فمضت هذه الدراسة وغذت سيرها جاهدة لتبين بصورة مجملة أهم محاور هذا الانسياب والتلاقح للحضارتين على الفارق والبون الشاسع بينهما ساعة التقائهما عشية الحروب الصليبية.

على أن هذه الدراسة جهدت وهي تحاول الوقوف على تأثيرات حضارية صليبية حملها الغرب المسيحي – بقصد أو بدونه– لتفاد منه شعوب الشرق الإسلامي فلم تكد تعثر على ظآلتها إلا لماما وكان ما أوردته الدراسة في هذا السياق هو استنتاجات لحوادث أو بعض التأثيرات الحضارية التي وجدتها في مضان كتب المستشرقين والمصادر العربية وبعض المراجع لتجعلها ضمن دائرة البحث والتحليل ،فلا يجد القارئ الكريم على هذه الدراسة أنها أوردت تأثير الشرق الإسلامي على من غزاه وتداعيات ذلك التأثير بصورة فاقت بكثير ما أوردته عن اثر الغرب على الشرق في تلك الفترة وذلك لما ذكرته من أسباب سالفة .

أولاً: التبادل الحضاري في مجال اللغة :

لعل من أهم دواعي التعلم والاكتساب والذي تُؤسس عليه المدنية والحضارة هي الحاجة الملحة لذلك التعلم ، فكثيرا ما يقطع المتعلمون لتوفير حاجاتهم الملحة أشواط سنين عديدة ويختصرون بتكثيف جهودهم مدد التعلم

ليصلوا سريعا إلى مرادهم الذي فرضته عليهم الحاجة ،ولا يغيب عن حصيف أن أعظم حاجات الإنسان وأكثرها إلحاحا في الطلب هو حاجاته وقت الحرب ،فبرغم مساوئ الحروب وتداعياتها والتي لا تقارن بمحاسنها ،فإنها ميدان إبداع في محطات كثيرة منها يستطيع صاحب الحاجة فيها تلبية ما يحتاجه عن طريق إبداعه .

وعلى هذا فانه من دواعي الاختلاط الناتج عن الحرب هي كيفية تعلم لغة الغير للتفاهم معه في مراحل الصراع المختلفة كالهدنة والأسرى وعقد الصلح وما إلى ذلك ناهيك عن اكتساب العلوم ، حيث برزت أثناء فترة الحروب الصليبية ضرورات تعلم اللغة لكلا الفريقين على حد سواء كون هذا الاحتياج هو القاعدة الأهم والمنطلق لجميع تداعيات الاختلاط وما يبنى عليه ولقد أجبرت ضرورات التعايش السياسي والاجتماعي والفكري بعض كبار النبلاء والأمراء والقادة الصليبيين أن يتعلموا العربية ليسهل عليهم التعامل مع المسلمين والتفاهم معهم[٣]

وقد كانت الطبقات المتنفذة في الغرب الأوربي هي السباقة لتعلم العربية وآدابها ويصف (Lamb) جانبا من حياة الإقطاعي الغربي بعد مجيئه للشرق في الترويض الذي لامس حدة طباعه بعد عقود عاشها في الشرق فكانت ممهدة ومروضة له فيقول "لقد أدى ذلك إلى انهيار خشونة السيد الإقطاعي المألوفة عند الغرب الأوربي أمام كياسة الشرق ولباقته فتحول إلى رجل مهذب ذو ثقافة وعادات طيبة"[٤]، وبصرف النظر عن صحية ما ذهب إليه (Lamb) فان النص يعضد بجانب مهم منه أن الطبقة الأهم بما توفر لها من مقومات التعلم كانت السباقة لذلك التعلم فانعكس في اقتباسها ذاك كياسة الشرق ولباقته.

ولقد كانت فترات الاختلاط بين المسلمين والصليبيين تتم في وقت السلم والذي تطول فتراته بين الفريقين إذ تفوق دائما فترات الحروب ،وأتاحت

هـذه الفتـرات فرصـة الاخـتلاط بـين الفـريقين سـواء علـى مسـتوى الأفـراد وعامـة الناس أو على مستوى كبار القادة والأمراء[٥].

وعـن الـتعلم النـاتج عـن الاخـتلاط المباشـر وصـوره وفوائـده بـين الفـريقين يـورد لنـا ولـيم الصـوري أن كونـت طرابلس(ريمونـد) قـد اسـر عنـد نـور الـدين زنكـي للفتـرة مـن(١١٦٤-١١٧٢م) فاسـتغل ريمونـد هـذه الفتـرة واسـتطاع بجهـد وانكبـاب على التعلم أن يتقن العربية والكثير من طبائع المسلمين وطرق عيشهم [٦]

وقـد تجسـدت ثمـار تعلـم العربيـة وقطافهـا علـى متعلميهـا مـن قـادة الصـليبيين فـي الشـرق الإسـلامي، وإذا كـان اخـتلاط ريمونـد وتعلمـه قـد تـم فـي ظـرف قـاهر وهـو الأسـر ومـع ذلـك لـم يشـأ هـذا الأسـير إمضـاء فتـرة أسـره دون فائـدة فـتعلم العربيـة فيهـا فـان هنـاك صـورة أخـرى مـن الاخـتلاط الـذي تـوفرت لـه مقومـات الـتعلم المـريح ، فقـد كـان لـتعلم اللغـة العربيـة مـن قبـل الإمبراطـور فريـدريك الثـاني (١١٩٨-١٢٥٠م) فـي جزيـرة صـقلية أثـرة وتداعياتـه فـي بـلاد الشـام فقـد كـان هـذا الإمبراطور"محبـا للحكمـة والمنطـق والطـب مـائلا إلـى المسـلمين"[٧] وكـان بلاطـه مهـوى العلمـاء الغـربيين والبيـزنطيين بالإضـافة لاشتغال قسم من اليهود بترجمة كتب الفلسفة العربية تحت رعايته[٨]

ومـن أسـاليب هـذا الـتعلم للعربيـة وآدابهـا مـا كـان يصـنعه ارنـاط صـاحب صـيدا فقـد كـان فيـه ولـع خـاص لـلآداب واللغـة العربيـة وتعلمهمـا ،وكـان عنـده مسلم يقرأ له ويفهمه وقد نال إعجاب صلاح الدين الأيوبي[٩] .

وكـان لفـرط تميـز رهبـان الإفـرنج عمـن سـواهم بحرصـهم علـى تعلـم العربيـة وآدابهـا،دور مهـم فـي سـني الحـروب الصـليبية إذ كـانوا ممـن سـاعدوا فـي نقـل الترجمـات فـي المخاطبـات والرسـائل مـن والـى العربيـة فعنـدما أراد (لـويس التاسـع) إرسـال سـفير للإسـماعيلية فـي قلاعهـم وقـع اختيـاره علـى احـد الرهبـان الدومينيكانيين وكان ذلك الراهب ممن يجيد العربية ويتقنها[١٠]

ومع ما يخال للقارئ من حرص تمتعت به طبقة النبلاء والفرسان والقادة في تعلم اللغة العربية كأحد مجالات الحاجة الملحة في فترة حروبهم مع الشرق، فإنهم لم يهتموا بمن قدم معهم من الفرنجه وان الإمارات اللاتينية في الشرق الفرنجي لم تقم بإنشاء مراكز ثقافية لرعاياها وان التعليم لا يعدو كما كان في الغرب عبارة عن مدارس ملحقة بالكاتدرائيات الكبيرة أو ببلاط الأمراء والملوك وكما هو موجود وقتذاك في أوربا[١١] ،وعلى ما يبدو فانه يؤشر لاضطراب الأحوال أو الانشغال بما هو أهم ألا وهو إدارة دفة الصراع مع الشرق وان مؤسسات تعليمية متخصصة لتعلم العربية تحتاج لبيئة تتميز باستقرار عجزت بيئة الحرب عن توفيرها .

وعلى هذا فان بعض المستشرقين يوعز الضعف في سرعة الاقتباس من الشرق إلى حالة العداء التي ما انفكت تنشب بين الفريقين إما على شكل معارك مباشرة أو هي حرب باردة يحاول كل فريق فيها التنكيل بغريمه بأي صورة من الصور وقد ترتب على ذلك أن إسهامات الحروب الصليبية كانت مخيبة للآمال في تثقيف غرب أوربا[١٢]

ووسط هذا الحرص من قسم من أمراء الإفرنج ورهبانهم وتجَّارهم- وعلى محدودية مَنْ جَهِدوا لتعلم العربية منهم- فان أهل الشام من المسلمين وغيرهم في غالبيتهم لم يكن لهم رغبة حقيقية في تعلم لغة عدوهم ،وهناك بعض الإشارات التي تومئ لضعف هذه الرغبة عند أهل الشرق ،وقد يكون كلام لأسامة بن منقذ وهو يصف احد نساء الفرنجة معضدا لهذه الرؤية، إذ يصفها وهي تتكلم "تبربر بلسانهم ما ندري ما تقول" ويقول في مكان آخر وهو يستمع لكلامهم "إنهم لا يتكلمون إلا بالإفرنجي ما ندري ما يقولون"[١٣] .

على أن بعض المصادر أوردت أحداثا متفرقة وحالات تؤشر رغم قلتها أن قسما من المسلمين ونتيجة طبيعة أعمالهم التي يؤدونها فإنهم أتقنوا لغة الغرب وفي هذا الصدد يُروى أن ارناط صاحب صيدا كان لديه مسلم يقرأ

لـه[١٤]ولا شـك أن هـذا المسـلم قـد أتقـن لغـة ارنـاط وفقههـا ، كمـا أن القصـور الخاصـة والعائـدة للأمـراء الصـليبيين كانـت لا تخلـو مـن تواجـد العـرب فيهـا[١٥]، وهذا التواجد للعرب في قصور الصليبيين بحد ذاته لا شك مدعاة لتعلم لغتهم .

وإذا كـان هـذا الـتلاقح اللغـوي علـى ضـيق مسـاحته بـين الفـريقين قـد حـدث نتيجـة التعـايش بينهمـا إذ جمعهـم قـدر الحـرب بمختلـف فصـولها فـان دورا حضـاريا آخـر اضـطلعت بـه العشـائر العربيـة النصـرانية فـي بـلاد الشـام إذ سـاعدت الديانـة المشـتركة بيـنهم وبـين الوافـدين مـن الغـرب المسـيحي علـى تجـاوز الموانـع الإيديولوجيـة والتـي كانـت العامـل الأهـم فـي إذكـاء الصـراع بـين الفـريقين ،وكـان لهـم بـذلك فضـل نشـر العربيـة بـين المسـيحيين القـادمين فضـلا عـن تعلـم لغاتهم مما زاد من مساحة التبادل الحضاري بين الفريقين في مجال اللغة[١٦] .

وقـد لا يبعـد عـن هـؤلاء مـن كـان ذا أصـول غربيـة لكنـه ولـد فـي الشـرق الإسـلامي مـن مثـل ولـيم الصـوري والـذي يعـد مـن ابـرز مـن كتـب فـي الحـروب الصـليبية إذ سـاعدته كثـرة تنقلاتـه مـا بـين فرنسـا وايطاليـا ودراسـاته فـي الفلسـفة واللاهـوت والقـانون الكنسـي والمـدني الرومـاني بالإضـافة لإتقانـه العربيـة التـي تعلمهـا فـي فلسـطين منـذ ولادتـه فيهـا إذ هـو مـن أسـرة فرنسـية الأصـل اسـتوطنت هنـاك، كمـا انـه كـان يجـالس العلمـاء المسـلمين ليتـزود مـنهم فـي مختلـف المسـائل ،كـل هـذا سـاعده وأعانـه كثيـراً علـى نظرتـه للتـاريخ الإسـلامي إذ هـو مـن نعـت صـفات نـور الـدين زنكـي بالحكيمـة والفَطِنَـة[١٧] ولعـل معرفـة العربيـة لهـا حصـة الأسـد وهـي المحـرك الأسـاس لكـل هـذا فجـاءت نضـرته وطروحاتـه وأعمالـه منصفة لحد ما.

وينحـى بعـض كتـاب الشـرق منحـىً قريبـا ممـا ذهـب إليـه المستشـرقون فـي تفسـير ضـعف تلقـي المسـلمين لثقافـة الصـليبيين ومعـارفهم ومنهـا لغـتهم، وأنهـم – أي المسـلمين– ونظـرا لعـدم اسـتقرارهم وكثـرة القلاقـل التـي عاشـوا بهـا وخاصـة ممـن قُـدِّرَ لـه أن يكـون تحـت السـيطرة المباشـرة للصـليبيين فـان الحيـاة العقليـة

عندهم انحطت كثيراً [١٨] . ليس فقط في تلقيهم لبعض علوم الغرب وما جاء به الصليبيون بل في ذات علمهم. حتى أن الناس صارت تأخذ (النحو) في حلب من حائك فيها اسمه أبو السخاء إذ ظلت المدينة حينا لا عالم بها فرضي الناس بما عند أبو السخاء والذي فهم شيئا من أوليات النحو [١٩] .ناهيك عن النضوب الفكري الذي أصاب الشرق الإسلامي عصر الحروب الصليبية فقد قلَّ الإقبال على الفلسفة بوفاة ابن سينا عام ٤٢٩هـ ،وإحراق مؤلفاته الفلسفية مع ما احرق في حملة الخليفة العباسي لإحراق الكتب الفلسفية عام ٥٤٥هـ فضعفت معها فرصة الاستفادة من المسلمين وعلومهم من قبل الغرب المسيحي[٢٠].

على أن هذا لا يتعارض مع المنتج الحضاري المتقادم الذي كرسه المسلمون على مدى قرونهم السالفة وتعزو الدراسة انحطاط مستويات المعرفة ببلاد الشام التي أشارت لها المصادر في جانب اللغة والأدب لهجرة العقول والطبقات المتعلمة والتي تستشعر قيمة الاقتباس اللغوي ومحاولة تعلمه نتيجة الاضطراب الحاصل من تداعيات الحرب وقد تعضد جانبا من هذه الرؤية حادثة أبي السخاء الحائك الآنفة الذكر.

ولذلك لم تكن الحروب الصليبية ومن قام بها من جهة وبلاد الشام المضطربة وأحوال أهلها من جهة أخرى هي الطريق الأهم للتفاعل الثقافي بين الشرق والغرب فلم يكن في ممالك الصليبيين في المشرق مراكز للمعارف الإسلامية – ومنها اللغة والأدب– يستطيع المسيحيون أن يستمدوا منها المعارف ولم تتوفر مقومات الامتزاج الثقافي المستمر والعميق بين الفريقين كما كان في اسبانيا وصقليه[٢١].

وبرغم كل إرهاصات الحروب الصليبية وتداعياتها التي انعكست سلبا على التبادل الحضاري في مجال اللغة بين الجانبين فإننا نلحظ استخدام كثير من الكلمات والمصطلحات العربية في اللغات الغربية وان كنا لا نستطيع

تحديد نسبة الذي انتقل منها عن طريق بلاد الشام لان معابر الحضارة في الأندلس وصقليه وغيرها قد ساهمت بالحصة الأهم في انتقال هذه المفردات[٢٢].

وإذا كان التبادل الحضاري في مجال اللغة مدعاة للتفاعل في مجال الأدب والذي لا يقوم أو يُتَذَوَّقٌ إلا بلغة سليمة،فقد أشارت المصادر إلى مرافقة شعراء الغرب للحملات الصليبية ووصفوا في بواكير مجيئهم الحروب مع المسلمين كما وصفوها وقت السلم [٢٣] .

ثانياً:التبادل الحضاري في المجال الديني:

حملت بواكير الحملات الصليبية رؤى وتصورات متشددة أوغرت بها صدور جيوشها ، ومنها صورا مشوهة عن حقيقة الإسلام والمسلمين ، ومن جملة تلك الصور أن الإسلام دين كفر يدعو إلى الإباحية وان المسلمين أناس كفار يعبدون محمد والذي يصورونه شيطانا تارة أو ساحرا تارة أخرى، ثم أن بعضهم كان ينعت النبي محمد(صلى الله عليه وسلم) بـ (موهاوند – Mohound) والتي تعني الشيطان عند الاسكتلنديين[٢٤] .

وكثيرا ما كان هؤلاء الصليبيون يثيرون مشاعر المسلمين عن طريق التعريض بعقيدتهم ودينهم كما فعل احدهم مع معين الدين أنر في القدس بما يرويه لنا أسامة بن منقذ إذ يروي انه كان بصحبة معين الدين فجاءه صليبي وقال له: هل تريد أن ترى الله في صورة مصغرة !!؟ ثم اخذ بيد معين الدين إلى صورة تَمَثَّلَ فيها المسيح في حضن مريم العذراء وقال له: هذا هو الله..؟[٢٥]

وإذا كانت بطون كتب التاريخ تسجل لنا ما هو مهم وبارز من أحداث تلك الفترة فان اضراب هذه الحوادث لا شك كثير وذلك للاختلاف الشامل في معظم طبائع الغرب فضلا عن عقائده ،وهذا التباين لا شك انه كان على أوجه

وفي أعلى مستوياته في بواكير الحملات الصليبية وذلك للشحن الفكري الذي مارسته الكنيسة على من جاء للشرق محاربا ولهول الصدمة وغرابة الحدث الذي أضحى الصليبيون متغلبون فيه على أربع ممالك في الشرق الإسلامي.

ولما كانت فترة الحروب الصليبية طويلة نسبيا فان الحوادث تشير إلى انحسار وطأة هذا التباين بين الفريقين، وان هناك تسامحا مضطردا نشأ بين الناس بمختلف جنسياتهم فيما يتعلق بالجانب الديني، فمن مظاهر هذا التسامح والناتج عن الاختلاط أن العملة التي كان يتعامل بها الصليبيون كانت تحمل آيات من القرآن الكريم ونقوشا عربية وبجانبها التاريخ الهجري للمسلمين ، ولما اصدر البابا أنوست الرابع في سنة ١٢٤٩م قرارا بتحريم التعامل بهذه العملة تحايل التجار الصليبيون فسكَّتْ عملة جديدة بنقوش نصرانية وتاريخ ميلادي ولكن باللغة العربية[٢٦].

والذي يستقرئ هذه الحادثة سواء من ذوي الاختصاص من المؤرخين أو القراء يدرك مسحة التقارب والتنازل عن ثوابت البابا وقراراته التي طغت على تصرف التجار وإن قد تكون لمصالح مادية ولكنها تؤشر بلا شك محاولة كسر قيد الكنيسة ذات المكانة الروحية وهي الراعي الأول لهذه الحروب وادبياتها ، إذ أن العملة وعلى مدار تاريخها ترسخ هوية متداوليها حكومات وشعوب وغالبا ما يشار بها لرفعة المعتقد والاعتزاز بالقومية والوطن، وان التجاوز على مدلولات صنعتها لا شك يعني الكثير.

ومن مثل صنيع التجار الصليبيين ما قد يكون شبيها به من قبل بعض الطوائف في بلاد الشام ومنها الإسماعيلية إذ يروي ستيف رانسيمان في كتابه تاريخ الحروب الصليبية أن راشد بن سنان زعيم الإسماعيلية عرض على عموري الأول عن طريق وفد أرسله له سنة٥٦٩هـ أن يترك –راشد بن سنان– الإسماعيلية ويدخل في النصرانية مقابل إعفائه من الضريبة المفروضة عليه وقومه ، فما كان من عموري الأول إلا أن يوافقه بعد أن سرَّه هذا العرض من

راشد بن سنان إلا أن خلافات بين الطرفين حالت دون إتمام الصفقة بل أدت في نهاية المطاف للتنكيل بالوفد المفاوض واغتيالهم جميعا من قبل عموري الأول وذلك بعد خروجهم منه(٢٧) .

ويبان من مثل هذه الحوادث أن أصحاب الفرق والمذاهب وبرغم ادعائهم الإخلاص لها إلا أنهم على استعداد للتنازل عنها عندما تصطدم بتطلعاتهم المالية والاقتصادية مما ينبئ بوجه آخر لقطاف الاختلاط الوضيعة والتي أفرزتها تداعيات الحروب الصليبية.

ومن مظاهر انحسار التضاد والاختلاف والتي أوجدتها على ما يبدو ضرورات التعايش واستمرارية الحياة هو أن بعض الكنائس في ممالك الشرق الصليبية كان يجتمع فيها المسلمون والمسيحيون ليصلُّوا معا تحت سقف واحد ولكن كل حسب معتقده(٢٨) .

وهذا بحد ذاته تطور هام يستحق الوقوف عنده إذ يجتمع الناس في أهم مفصل خلافي بينهما والذي بنيت عليه جل حملات التحريض الأولى من قبل الكنيسة حيث سعت جاهدة من خلال هذا المنفذ لإغراء رعاياها وإيغار صدورهم بما يمكِّنها من إدامة زخم الصراع وإشعاله ،واجتماع على هذا النحو وان قد تكون ضاقت دائرته وقل مجتمِعيهِ سواء كان بعلم البابا او بدونه له دلالات كثيرة على الأثر العقدي في التبادل الحضاري بين الفريقين .

وبغض النظر عن شرعية هذا العمل في ادبيات اديان الفريقين فانه لا شك يعكس جانبا هاما بل حساسا من جوانب الاختلاط المفضي لتبادل الآراء في الجانب العقدي والذي أفضى لنتائج سجَّل قسم منها المؤرخون.

فمن ثمار هذا الاتصال إدراك قسم من المسيحيين الذين عايشوا المسلمين عن كثب –كما هو حال اجتماعهم في الكنيسة– أن المسلمين يؤدون عباداتهم واتصالاتهم مع الله دون وسيط وقد أفضى هذا إلى أن قسما منهم قد تجرأ على الكنيسة ورجالها بقوله أنهم– أي رجال الكنيسة– لا يستطيعون بما

أوتوا بزعمهم من الاتصال مع الله "أن يضعوا عن مخلوق ذنبا واحدا"[٢٩] وأيقنوا أن الذي يقدر على هذا هو الله وحده سبحانه[٣٠].

والمتمعن بهذا الاستنتاج يدرك مليا أن الذي توصل إليه المسيحيون ممن كان لهم حظ الاختلاط مع المسلمين في الشرق هو شوط بعيد من القناعة بأدبيات المسلمين وبديهيات شريعتهم والتي كان في ركائزها الأولى جزء كبير من هذا التصور الذي قد يكون الاختلاط المجرد هو من أوصل المسيحيين إليه وذلك بمشاهدتهم إفْرادُ المسلمين اللهَ في عبادتهم له وعدم دعوتهم غيرة بما يتناقض مع قواعد شرعة النصارى الذين يؤمنون بالتثليث ،وعلى هذا فان اعتراض مَنْ تعايش مع المسلمين من النصارى ضد رجال كنيستهم إنما هو اعتراض على أصل شرعتهم وأدبياتها وهو لا شك تطور هام في حيثيات التبادل الحضاري بين الفريقين .

وتشير المصادر التاريخية إلى مساحة مهمة من العلاقات بين الطائفة الإسماعيلية في بلاد الشام وبين الصليبيين وبمفاصل متعددة تذكر هذه الدراسة منها ما تراة يحمل في مساربه تأثيرا متبادلا بين الفريقين ،وبصرف النظر عن أهداف هذا الاتصال ومسوغاته في كونه لإغراض نفعية أو هو للاطلاع على ما يعتقده الغير أو هو تأثر عقدي صرف ، فمن ضروب هذا التأثر ما يروى أن احد الفرسان الصليبيين واسمه (جيوم دو موبنار) قد تلقى تعاليم الإسماعيلية على يد احد شيوخها في احد مغارات جبل لبنان[٣١] .

ويبدو أن من مثل هذا التأثر وأضرابه تسللت إلى أوربا أساليب وطرق الإسماعيلية في التعامل مع أتباعهم ،فقد كان للهيكليين تعاليم مشابهة للإسماعيلية ومنها التعاليم الموجهة للعامة والتعاليم الموجهة للخاصة ولخاصة الخاصة ، ومنها الامتحان الذي يتعرض له الداعية للوصول إلى مرتبة الزعامة كالقسم على اليمين المغلظ لكتم الأسرار وغيرها[٣٢] .

كما أن قسما من الصليبيين قد حملوا إلى بلادهم من عقائد الشرق غير الإسلامية كالمنوية إذ وصف قسم من القساوسة كالقس (بيتر والدو) هذه العقائد ومن جاء بها وحملها بأنهم "أنبياء كذابون"(٣٣).

ومقابل هذا فقد استغل الصليبيون تواجدهم في الشرق وجهدوا لتنصيره تارة بالقوة والتي لم تفلح في نشر الصليبية ثم باللين والكلام الحسن والذي فطن له الصليبيون بعد أن فشلوا في تجربة أساليب القوة والقهر وقد اهتدوا لهذه الطريقة بعد قراءاتهم لمسيرة الدعوة الإسلامية ،إذ استهوت قساوستهم فكرة الدعوة الحسنة للنصرانية حتى أن وليم الطرابلسي –أسقف عكا– دعا لهذا الأسلوب في الدعوة بقوله "ينبغي أن نرسل مبشرين لا جنودا لإرجاع الأرض المقدسة"(٣٤)

ومن ثمار هذه الإستراتيجية ومظاهرها هو الإرساليات التبشيرية وتأسيس الرهبنات من مثل (الرهبنة الفرنسيسكانية)التي أسسها القديس (فرانشيسكو داسيسي) بعكا وطرابلس وبيروت عام ١٢١٩م(٣٥)، وكذا الارسالية التبشيرية التي وصلت الشام للقيام بنشر النصرانية في عام ١٢٣٠م إذ وجدت لها صدى في فلسطين(٣٦) .

على أن ما أوردته هذه الدراسة من التأثير المتبادل في المجال العقدي هو مقتطفات بارزة شكلت الدراسة بها نضرة مقتضبة لطبيعة التأثر بين عقائد الشرق سواء الإسلامية منها أو غيرها وبين عقائد الغرب المسيحي وتأثيراتها حيث وقفت على مشاهد من هذا التأثر المتبادل.

ثالثاً:التبادل الحضاري في مجال الطب:

قبل الولوج في تبيان التبادل الحضاري في المجال الطبي (العلوم الصرفة)فان مما ينبغي الإشارة إليه أن الهوة الكبيرة التي اضطردت في وسعها بعد مجيء الإسلام بين ما وصل إليه الشرق الإسلامي من تقدم في مجال الطب وبن الانحطاط الذي عاشه الغرب في تلك الحقبة كان قد ألقى بظلاله

على كثرة المعلومة التي تؤشر فضل الشرق على الغرب في هذا المجال وان رواد هذا المجال من الغربيين كانوا يجهدون أنفسهم للاقتباس من علوم الطب في الشرق.

ويبدو أن تواتر المعلومة في هذا المجال من التبادل وتميزها في غناها عن غيرها كان نتيجة حاجة الفريقين المتقاتلين لهذا المجال من المعرفة في العلوم الصرفة وذلك لاستمرارية الحروب وكثرة الجرحى مما انعكس إيجابا على الفريقين في تطوير قدراتهما الطبية وذلك لفرط حاجتهما اليها،لذلك كثر روادها وتشعبت تخصصاتها وعِيْرَ الاهتمام بها .

وإذا كانت هذه الدراسة قد أشارت إلى ثمة تبادل حضاري وان كان غير متوازن ويجنح بفضل الشرق على الغرب وان هناك بعض ما استطاع الشرق أن يأخذه من الغرب في مجال العلوم الإنسانية فإنه من الصعوبة بمكان الوقوف على تبادل حضاري ذو صدىً وتأثير كان الشرق قد اخذه من الغرب في مجال الطب .

ولا غرابة في هذه المعادلة الغير متوازنة إذا علمنا أن العلوم الطبية كانت عند الصليبيين لا تتعدى الشعوذة والخرافات ، وعلى وفق هذا السياق من الرؤيا يروي أسامة بن منقذ أن احد الفرسان الصليبيين مرض مرضا شديدا، فاستدعوا له قسا ذا مقام كبير فجاءه وصنع له أصابع من الشمع ووضعها في انفه ليسده ثم وضع يده على فمه ، ولفرط سيطرة خرافات الكنيسة على عقول الناس كان الحاضرون يتوقعون شفاء هذا الفارس فورا ، ووسط دهشة الحاضرين التفت إليهم القس وقال :لقد سددت انفه لكي يموت ويستريح[٣٧].

ويبدو أن الكنيسة في أوربا هي التي كانت تختلق هذه الخزعبلات وتسوقها لأتباعها من سذج الناس وعوامهم ، ولقد وثَّقَ المستشرقون بعضا من

توجهات رجال الكنيسة ومنهم (برناردي كليرفو) وهو مؤسس دير كليرفو وكان أول رئيس له .

وقد كان كليرفو يؤمن بـ(المعجزات الشفائية) والتي منها انه حرَّم على أتباعه من الرهبان ممن يمرضون من أن يتعاطوا أي نوع من العلاج!!؟ بل الأكثر من هذا انه حرم عليهم أن يتصلوا بأي من الأطباء ليتداووا أو يتطبَّبوا او حتى يحترزوا من المرض وان عليهم فقط أن يموتوا هكذا دون تناول أي من العقاقير[٣٨]

ومن مثل هذا التوجه في أدبيات الكنيسة قبل مجيء الإسلام رأي الأب طاطيان (١٢٠-١٧٣م) في أن علوم الأدوية والعقاقير على مختلف أشكالها يرجع إلى الفن الباطل أصلا وهو خادع يقوم على المادة[٣٩] ،إذ تبدو جذور تعاليم الكنيسة بهذا الخصوص قد انسحبت إلى زمن الحروب الصليبية ولم تتغير.

وتتربص المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه بأخطاء الكنيسة وكابوسها الثقيل على حياة الأوربيين في المشرق أيام الحروب الصليبية فتكشف عن صنيع قومها ليكون شاهدهم منهم عليهم، ولئلا يتهم أهل الشرق بالانحياز لشرقهم، فتروي هونكة أن رجال الحروب الصليبية من الجنود المثخنون بالجراح النازفة كانوا ينتظرون في طوابير على ما بهم من جراحات في مستشفى القديس يوحنا في القدس وكل ذلك استعدادا لأداء تعاليم الكنيسة التي يمليها القس عليهم في الاستعداد للتقرب من سر الاعتراف والإقرار بالخطايا ثم تناول خبز القربان وذلك كله قبل البدء بإسعافهم.[٤٠]!!؟

وإذا كان علم الطب علم صرف لا علاقة له بالخزعبلات التي تحاول الكنيسة إلصاقها به لتضفي عليه صبغة روحية فان هذه الاستقلالية للطب كونه علم راق لا يدخل مجاله إلا أذكياء الناس وصفوتهم علميا قد جنحت به –على وفق متطلبات نجاحه– بعيدا عن الكنيسة إذ يبدو أن الكنيسة أرادت

ربطه بفلكها بالكلية في القرون الوسطى لئلا يؤثر على هيبتها- بما يحمله من أسباب الشفاء الملموسة للناس- في نفوس الناس فصارت تحاول أن تصدر الأحكام لمنع الناس من النزوع إليه وقت حاجتهم لئلا تُتْرَك الكنيسة أو تخف وطئتها على أتباعها فتفقد بالتالي نفوذها الذي كانت تسيِّر به دفة الصراع .

ويبدو ان الصليبيين في المشرق تجاهلوا تعاليم الكنيسة في الجانب العلمي بما يتعلق بأهم مفصل يمس حياتهم اليومية، فقد لجأ المرضى من الأمراء والفرسان والمقاتلين وغيرهم من عامة الفرنجة إلى الأطباء في الشرق برغم مواقف الكنيسة التي أسلفت الدراسة تبيان قسم منها،إذ تروي لنا المصادر المختلفة مشاهد من حالات مرضية لجأ فيها الأمراء والفرسان الصليبيين إلى أطباء الشرق ومن مثل هذا أن ابن ملك مملكة بيت المقدس عموري كان قد أصيب بالجذام،فما كان من عموري إلا إن استقدم طبيبا من الديار المصرية هو داود بن أبي المنى- وقد كان فاضلا في الصناعة الطبية خبير بها وبعلومها - لعلاج ابنه (بودوان)[٤١] .

ولقد شهد وليم الصوري لهذه الاستعانة بالأطباء الشرقيين من قبل الأمراء الصليبيين إذ كان معاصرا لها حيث قال في ذلك "إن أمرائنا ...لا يؤمنون إلا بالأطباء اليهود والسامريين والسوريين والعرب"[٤٢] .

وكانت شواهد تقدم علم الطب عند اهل الشرق من المسلمين وغيرهم على الفرنجة تتجسد عمليا في بعض المشاهد فيروى أن احد الأطباء المسلمين واسمه ثابت قد جمعته متطلبات المهنة وضروراتها مع احد الأطباء الصليبيين على حالة مرضية تمثلت في جندي صليبي كان يشكو دمَّلةً في قدمه وعندما أعطاه ثابت جملة أدوية استند بها على خبرته ودرايته ،اتهم الطبيب الصليبي ثابت بالجهل ثم التفت للمريض وكان احد فرسان الصليب ثم خيَّره بين قطع رجله المصابة أو انه سيلقى حتفه ،فاختار المسكين أحلى الامرَّين وهو القطع لرجله المصابة فما كان من الطبيب الصليبي إلا أن استدعى فارسا قويا

وأحظر له فأسا وأمره بضرب رجل المريض فتطاير مخ رجله ثم ما لبث أن مات ذلك المريض [٤٣] .

وحتى تستكمل المعادلة تفاعلاتها لتخرج بنتيجة للتفاعل الحضاري في مجال الطب فانه لا مناص لهذه الدراسة بعد أن وقفت على بعض أحوال علم الطب عند الفرنجة في الشرق والذي هو على صلة وثيقة بمثيله في الغرب حيث سيطرة الكنيسة وتعاليمها التي وقفت الدراسة على قسم منها ، لامناص من أن يرنو بصرها لأحوال الطب في المشرق لتقف على مستواه في ذلك الوقت وليتسنى لها بلورة تصور عن حجم التبادل الحضاري في هذا المجال.

ومن واقع مستوى الطب في الشرق برغم ما كان يمر به من اضطرابات يسوق لنا أسامة بن منقذ حادثة لجندي مسلم أصيب بوجهه إصابة بليغة لضربة تلقاها من جندي صليبي في المعركة فشج وجهه بجرح غائر،فحمل إلى الطبيب وكان مَنْ يُعْنَىْ بالجراحة من أطباء الشرق يسمى بالجرائحي فأخاط الجرائحيُّ وجهه والتحم كما كان[٤٤].

ولفرط اهتمام الشرق بالطب وأهله فقد اشترط القائمون عليه، أن على من يتولى منصب رئيس الأطباء أن يحلف انه لا يجيز مهنة الطب التي يجيدها لغيره إلا أن يستوفي شروط المعرفة التامة فيها وان يكون أمينا على أسرار مرضاه[٤٥] .وفي ذلك من تاريخ الشرق شاهد إذ كان أبو المنصور شرف الدين بن سديد المبارك والذي كان لرجاحة علمه وعلو كعبة في علم الطب يلقب بـ (الشيخ السديد) وشغل وفقا لذلك منصب رئيس الأطباء في الديار المصرية، ولتميُّزه بمهنته أُختير للعمل طبيبا لخمس خلفاء فاطميين وقدم خدماته الطبية لصلاح الدين الأيوبي كذلك، وهو من بيت علم وطب وكذا كان ابوه من قبله [٤٦] .

وقد حذا جل أمراء الشام المسلمين هذا الحذو في الاهتمام بالطب من خلال الاهتمام بالقائمين عليه من أصحاب الاختصاص من الأطباء فقد عين

الملك العادل الطبيب مهذب الدين عبد الرحيم بن علي والمعروف بـ(الدخوار) رئيسا لأطباء مصر والشام وهو من اكبر الأطباء سنا وقد قرَّبه الملك العادل وأغدق عليه لما يعلم من غزارة علمه(٤٧) .

ومن تدابير أهل الشرق في الطب وحسن صنيعهم معه واهتمامهم به أنهم كانوا يكلفون المحتسب ومعه فريق من المراقبين ممن له معرفة بالطب أن يمرّون بدوريات أسبوعية على الصيدليات للتأكد من سلامة الأدوية وخلوها من الغش وكذلك كان المحتسب مسئولا عن التفتيش عن مصانع الأدوية لذات الغرض(٤٨) .

وعلى وفق ما تقدم من بيان أحوال الطب عند الفريقين فإنه لَيَبْدو مما سبق ذكره أن البون الشاسع بين تقدم الطب في الشرق وتخلفه في الغرب قد جعل من الاحتكاك الحاصل بينهما في الحروب الصليبية ميدانا اشعر أهل الرأي وحصفاء القوم من الغربيين بهذه الهوة.

ومن تداعيات هذا الشعور على ما يبدو هي فطنة بعض الطلاب الأوربيين المحبين للمعرفة لأساليب الكنيسة وخرافاتها وأنها احد أسباب التخلف الرئيسة في هذا المجال بما تمليه عليهم من تعاليم تنافي مقومات العلم في مجال الطب وأسبابه ،لذلك كانوا يفدون إلى الشام لدراسة العلوم ومنها الطب في مدرسة طرابلس إذ درجوا على أن يبدؤوا أولا بإتقان العربية ثم يتوجهون لدراسة العلوم الأخرى(٤٩).

ويبدوا أيضا أن أمراء الغرب قد استشعروا ذلك أيضا ونزلوا عند رغبة مَنْ أوفدوهم من طلابهم إلى الشرق للدراسة بعد عودتهم إذ اقترحوا على أمراء الغرب أن تبنى لهم المستشفيات ليمارسوا ما تعلموه في الشرق ويطبقوه بديارهم .فأنشأ عام ١٢٠٤م مستشفى روح القدس في روما وعلى غراره أنشأت عدة مستشفيات في أوربا ،ففي ألمانيا لوحدها انشأ بحدود مئة مستشفى وذلك في القرن الثالث عشر الميلادي وكذا فرنسا التي أنشأت فيها العديد من

المستشفيات حيث يوجد فيها اليوم أهم المراكز الطبية في باريس والذي كانت نواته مأوى للمكفوفين ثم طوره لويس التاسع وجعل منه (ملجأ الثلاثمائه) ثم أصبح مستشفى للرمد[٥٠] ،ناهيك عن مستشفيات لندن التي أنشأت على تداعيات التأثر بالشرق وتقدم الطب فيه، من مثل مستشفى القديس (بورثولميو)الذي انشأ عام ١١٢٣م ،ومستشفى القديس توماس عام ١٢١٥م[٥١].

وفي مجال ترجمة الكتب الطبية فقد تم ترجمة العديد من الكتب والتي كان من أبرزها كتاب ألفه عالم وطبيب احوازي اسمه علي بن عباس ،وكان قد تتلمذ على يد موسى بن يوسف بن سيار المتوفي سنة ٣٨٤هـ وقد احتضنه عضد الدولة البويهي[٥٢] واسم هذا الكتاب (الملكي كامل الصناعة الطبية)وقد قام بترجمته من العربية ستيفن الانطاكي عام ١٢١٧م اثناء وجوده في انطاكيه واطلق عليه اسم (الكتاب الملكي) وهو ما درجت اوربا على تسميته[٥٣] .

ولقد درِّس هذا الكتاب في الجامعات الاوربية من مثل الجامعة الطبية في (سالرنو)اذ قويَّ الأثر العربي بهذه الجامعة بوساطة الطلاب الصليبيين الذين حملوا علمهم من الشرق الى هذه الجامعة،وبقيت فصول من هذا الكتاب مرجعا طبيا لهذه الجامعة لقرابة قرن من الزمان[٥٤].

على ان الغرب بعد ذلك لم يقتصروا على ترجمة كتاب او كتابين فقد تجسدت الصحوة الاوربية في جانب مهم منها عن طريق ترجمة اكثر من ثلاثمئة كتاب في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين وهذا يعني أنها اتكات على ما اقتبسته في ذينك القرنين من علوم الشرق والمَّت به لريادة النهضة العلمية الحديثة[٥٥] .

الخاتمة:

توصلت هذه الدراسة لمجموعة نتائج توجزها بالنقاط التالية:

١- أن أمراء الفرنج ورهبانهم وفرسانهم كانوا السباقين للاقتباس الحضاري وفي مجال اللغة بصورة رئيسة لحاجتهم اليها في تعاملاتهم مع واقع الأحداث . وان التبادل الحضاري اقتصر إلى حد ما على الطبقة المتنفذة المترفة من الصليبيين وتُرك عامة الجند يعتمدون على جهدهم الذاتي بلا رعاية.

٢- أثرت بيئة الحرب والصراعات بين الطرفين المتنازعين على مجريات التبادل الحضاري بصورة سلبية بينهما مع بعض التداعيات الايجابية والتي هي نواتج عرضية لسلبيات الحروب بين الطرفين.

٣- ان الكثير من التبادل الحضاري الذي تم بين الفريقين كان قد حدث تحت وطأة الحاجة الملحة ولم تكن له مؤسسات تعنى به أو جهود توضف لتطبيقه إلا بمقدار الحاجة الفعلية له.

٤- كان وقع التبادل الحضاري في المجال الطبي (العلوم الصرفة) عاليا في مستواه نسبة لبقية المحاور وانه-أي المجال الطبي- ذا صلة بالتبادل في المجال العقدي لان الكنيسة اتخذت من الأخير وسيلة لتدس انفها فيما ليس لها علم به إلا من إضفاء الجانب الروحي الذي حاولت الكنيسة فيه برقعة الجانب العلمي الطبي والذي تمثل في اغلب مفاصله بشيوع الخرافات والشعوذات في محاولة من الكنيسة للسيطرة على كل شيء بما في ذلك المجال الطبي وقد مثلت الدراسة لهذا التدخل بحالات حية جسدت هذا التدخل السلبي وتداعياته.

٥- بروز الكثير من الحالات التي تمثلت فيها الافكار الداعية لمخالفة تعاليم الكنيسة او تجاهل توجيهاتها وخاصة التعاليم التي يغلب عليها التعصب والخرافة .وقد جاء هذا التجاهل في غالبيته من الطبقة المتعلمة والتي تستشعر قيمة التبادل الحضاري والذي يؤثر على آلية تلك التعاليم المملوءة بالخرافة والتعصب الديني ، مما يؤشر لإنسانية التبادل الحضاري كونه نتاج بشري يتجاوز مجاله الاطر الجغرافية والقومية والتعصبات الدينية

هوامش البحث :

(١) النقاش ، زكي، العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والإفرنج خلال الحروب الصليبية، دار الكتاب ،بيروت/١٩٥٨م، ص١٣٣ .

(٢)لويس، برنارد ،العرب في التاريخ، ترجمة: نبيه فارس ومحمود زايد، دار العلم ،بيروت/١٩٥٤م ،ص٢١٧ .

(٣) سعداوي،نظير حسان، الحرب والسلام زمن العدوان الصليبي، القاهرة/١٩٥٧م،ص١٨٤

(4) Lamb.H;The Crusades (the flame of Salam).London,1931.p.56

(٥) حتي، فيليب موجز تاريخ الشرق الادنى،ترجمة :انيس فريحه،مطبعة الغريب، بيروت/بلا.تا،ص٢٢٣

(٦) رانسمين، ستيف، تاريخ الحروب الصليبية،ترجمة: السيد الباز العريني،دار الثقافة،بيروت/١٩٨١م،٢/٦٥٣

(٧) ابو الفدا، اسماعيل بن عماد الدين،(ت:٧٣٢هـ)، المختصر في اخبار البشر،القاهرة/١٩٠٧م،٣/١٤١

(٨) عاشور، سعيد عبد الفتاح،الحركة الصليبية ،ط٢،سجل العرب،القاهرة/١٩٧١م،٢/١٢٧٥ .

(٩) ينظر: ابو المحاسن، جمال الدين يوسف بن تغري بردي ،(ت:٨٧٤هـ)،النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة،القاهرة ١٩٧١م،٦/٤٣

(10) Gronsset.R:Histoire des Croisades et du Royaume Franc de Jerusalem,Paris.1943,Vol.lll,p511

(١١) رانسمين ، تاريخ الحروب الصليبية، ٨١٨/٢،

(١٢) ينظر: رانسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية، ٨٢٢/٣

(١٣) أسامة ابن منقذ،أبو المظفر بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر،ت:٥٨٤هـ ،كتاب الاعتبار، نشره وحققه:فيليب حتي، برنستون/١٩٣٠م، ص .ص ١٤٠،٦٦

(١٤) ابن شدَّاد،بهاء الدين يوسف بن رافع،(ت:٦٣٢هـ)،النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية(سيرة صلاح الدين)،تحقيق:جمال الدين الشيال،الدار المصرية،القاهرة/١٩٦٤م،ص٩٧ .

(١٥) البُنداري،ابو ابراهيم الفتح بن علي بن محمد،(ت:٦٤٣هـ)،سنا البرق الشامي،تحقيق:فتحيه النبراوي،مطبعة الجبلاوي،القاهرة/١٩٧٩م،ص٩٠ .

(١٦) عاشور ،الحركة الصليبية،١٢٧٠/٢ .

(١٧) توفيق،عمر كمال،المؤرخ وليم الصوري،مجلة كلية الآداب–جامعة الاسكندريه،ع٢١،الاسكندريه/١٩٦٨م .

(١٨) بدوي،احمد احمد، الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية ،القاهرة/بلا.تا،ص٢٥

(١٩) المصدر نفسه.

(٢٠) عاشور ، النهضات الأوربية في العصور الوسطى وبداية الحديثة ، القاهرة / ١٩٦٠م،ص٣٧٣

(٢١) احمد ،محمد خلف الله ،الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة، القاهرة/١٩٥٥م،ص٢٢٥

(22) Lamb.H: op.cit.p.380

(٢٣) الغمراوي،علي،اثر الثقافة الاسلامية في الفكر الاوربي،الرياض/١٩٨٢م،ص٩ .

(٢٤) واط، مونتكمري، أثر الحضارة العربية الإسلامية على أوربا، ترجمة: جابر أبي جابر ، منشورات وزارة الثقافة ،دمشق/١٩٨١م،ص١٤٤ .

(٢٥) ابن منقذ،أسامه،الاعتبار، ص١٣٥ .

(٢٦) الحويري،محمود محمد علي،الأوضاع الحضارية في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر،دار المعارف،القاهرة/١٩٧٩م،ص١٤٢ .

(٢٧)رانسمين ،تاريخ الحروب الصليبية،٦٤١/٢ .

(٢٨) حداد،جورج،المدخل إلى تاريخ الحضارة،دمشق/١٩٥٣م،ص٤٧٩ ؛ريسلر،جاك.س،الحضارة العربية،ترجمة:غنيم عبدون،الدار المصرية للتأليف والنشر،القاهرة/بلا.تا،ص١٣١ .

[٢٩] السامرائي،قاسم،أصول الماسونية التاريخية وموقفها من الإسلام،مطبعة جامعة محمد بن سعود ،الرياض/١٩٨٢م،ص٣.

[٣٠] المصدر نفسه .

[٣١] زيد،أسامه زكي،الصليبيون وإسماعيلية الشام في عصر الحروب الصليبية،مطبعة الإسكندرية،الإسكندرية/١٩٨٠م،ص٣٠٢ .

[٣٢] السامرائي، اصول الماسونية،ص٥ .

[٣٣] وول،ديورانت،قصة الحضارة،ترجمة: محمد بدران، ط٢،القاهرة/١٩٦٧م،٧٤/٥

[٣٤] حتي،فيليب،تاريخ لبنان،ترجمة :أنيس فريحه،مطبعة الغريب،بيروت/بلا.تا،ص٣٩٤ .

[٣٥] حتي،تاريخ لبنان، ص٣٩٤

[٣٦] المصدر نفسه

[٣٧] ابن منقذ، الاعتبار،ص١٣٧.

[٣٨] هونكه،زيغريد، شمس العرب تسطع على الغرب،ط٥،ترجمة:فاروق بيضون ،دار الافاق، بيروت /١٩٨١م ،ص٢٢٢ .

[٣٩] المصدر نفسه،ص٢١٩

[٤٠] المصدر نفسه،ص٢٢٤-٢٢٥

[٤١] ابن ابي اصيبعه، موفق الدين ابو العباس بن احمد بن القاسم السعدي،(ت:٦٦٨هـ)،عيون الانباء في طبقات الاطباء،تحقيق:نزار رضا،مكتبة الحياة،بيروت/١٩٦٥م، ص٥٨٧ .

[٤٢] حتي،تاريخ لبنان،ص٣٨٩ .

[٤٣] ابن منقذ،الاعتبار،ص١٣٢-١٣٣

[٤٤]المصدر نفسه،ص١٦٣ .

[٤٥] ابن بسام،محمد بن احمد المحتسب،(ت:بعد سنة٨٤٤هـ)،نهاية الرتبة في طلب الحسبة،تحقيق:حسام الدين السامرائي،مطبعة المعارف،بغداد/١٩٦٨م،ص١٠٨ .

[٤٦] ابن العماد الحنبلي ،عبد الحي بن احمد بن محمد العكري الحنبلي الدمشقي،(ت:١٠٨٩هـ)،شذرات الذهب في اخبار من ذهب،تحقيق:محمود الارنؤط ،دار ابن كثير،بيروت/١٩٩٣م،٥٠٦/٦ .

[٤٧] ابن ابي اصيبعه،عيون الانباء،ص٧٣١؛ابن العماد الحنبلي،شذرات،٢٢٤/٧ .

[٤٨] الشيزري،عبد الرحمن بن عبدالله الشافعي،(ت:٥٨٩هـ)،نهاية الرتبة في طلب الحسبة،تحقيق:السيد الباز العريني،القاهرة/١٩٤٦م،ص ص٤٢،٥٧

(٤٩) تدمري،عمر عبد السلام،الحياة الثقافية في طرابلس خلال العصور الوسطى،دار فلسطين،بيروت/١٩٧٣م ،ص٦٩ .

(٥٠) وول،ديورانت،قصة الحضارة،١٩٦/٦ .

(٥١) جارلند،جوزيف،قصة الطب،ترجمة:سعيد عبده،دار المعارف،القاهرة/١٩٥٩م،ص٧٥ .

(٥٢) الزركلي،خير الدين،الاعلام،دار العلم،بيروت/١٩٨٦م،٢٩٧/٤ .

(٥٣) مايرهوف،ماكس،العلوم والطب،ترجمة:جرجس فتح الله الحامي،ط٢،دار الطلبة،بيروت/١٩٧٢م،ص٤٩٩ .

(٥٤) منتصر،عبد الحميد،تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه،دار المعارف،القاهرة/١٩٨٠م،ص٢٣٠ .

(٥٥) مظهر،جلال،اثر العرب في الحضارة الاوربية،دار الرائد،بيروت/١٩٦٧م،ص١٩٢ .

قائمة المصادر والمراجع

١-ابن ابي اصيبعه، موفق الدين ابو العباس بن احمد بن القاسم السعدي،(ت:٦٦٨هـ)،عيون الانباء في طبقات الاطباء،تحقيق:نزار رضا،مكتبة الحياة،بيروت/١٩٦٥م

٢-احمد ،محمد خلف الله ،الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة، القاهرة/١٩٥٥م

٣-أسامة ابن منقذ،أبو المظفر بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر،ت:٥٨٤هـ ،كتاب الاعتبار، نشره وحققه:فيليب حتي، برنستون/١٩٣٠م

٤-البُنداري،ابو ابراهيم الفتح بن علي بن محمد،(ت:٦٤٣هـ)،سنا البرق الشامي،تحقيق:فتحيه النبراوي،مطبعة الجبلاوي،القاهرة/١٩٧٩م

٥-بدوي،احمد احمد، الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية ،القاهرة/بلا.تا

٦-ابن بسام،محمد بن احمد المحتسب،(ت:بعد سنة٨٤٤هـ)،نهاية الرتبة في طلب الحسبة،تحقيق:حسام الدين السامرائي،مطبعة المعارف،بغداد/١٩٦٨م

٧-توفيق،عمر كمال،المؤرخ وليم الصوري،مجلة كلية الآداب-جامعة الاسكندريه،ع٢١، الاسكندريه / ١٩٦٨م .

٨-تدمري،عمر عبد السلام،الحياة الثقافية في طرابلس خلال العصور الوسطى،دار فلسطين،بيروت /١٩٧٣م

٩-جارلند،جوزيف،قصة الطب،ترجمة:سعيد عبده،دار المعارف،القاهرة/١٩٥٩م

10- Gronsset.R:Histoire des Croisades et du Royaume Franc de Jerusalem,Paris.1943,Vol.III

١١- حداد،جورج،المدخل إلى تاريخ الحضارة،دمشق/١٩٥٣م

١٢- الحويري،محمود محمد علي،الأوضاع الحضارية في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر،دار المعارف،القاهرة/١٩٧٩م

١٣- حتي، فيليب موجز تاريخ الشرق الادنى،ترجمة :انيس فريحه،مطبعة الغريب، بيروت/بلا.تا

١٤- حتي ،تاريخ لبنان،ترجمة :أنيس فريحه،مطبعة الغريب،بيروت/بلا.تا

١٥- ريسلر،جاك.س،الحضارة العربية،ترجمة:غنيم عبدون،الدار المصرية للتأليف والنشر،القاهرة/بلا.تا

١٦- رانسمين، ستيف، تاريخ الحروب الصليبية،ترجمة: السيد الباز العريني،دار الثقافة،بيروت/١٩٨١م

١٧- زيد،أسامه زكي،الصليبيون وإسماعيلية الشام في عصر الحروب الصليبية،مطبعة الإسكندرية، الإسكندرية/١٩٨٠م

١٨- الزركلي،خير الدين،الاعلام،دار العلم،بيروت/١٩٨٦م.

١٩- سعداوي،نظير حسان، الحرب والسلام زمن العدوان الصليبي، القاهرة/١٩٥٧م

٢٠- السامرائي،قاسم،أصول الماسونية التاريخية وموقفها من الإسلام،مطبعة جامعة محمد بن سعود ،الرياض/١٩٨٢م

٢١- ابن شدَّاد،بهاء الدين يوسف بن رافع،(ت:٦٣٢هـ)،النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية(سيرة صلاح الدين)،تحقيق:جمال الدين الشيال،الدار المصرية،القاهرة/١٩٦٤م

٢٢- الشيزري،عبد الرحمن بن عبدالله الشافعي،(ت:٥٨٩هـ)،نهاية الرتبة في طلب الحسبة،تحقيق:السيد الباز العريني،القاهرة/١٩٤٦م

٢٣- عاشور، سعيد عبد الفتاح،الحركة الصليبية ،ط٢،سجل العرب،القاهرة/١٩٧١م.

٢٤- عاشور،النهضات الأوربية في العصور الوسطى وبداية الحديثة ، القاهرة / ١٩٦٠م

٢٥- ابن العماد الحنبلي ،عبد الحي بن احمد بن محمد العكري الحنبلي الدمشقي،(ت:١٠٨٩هـ)،شذرات الذهب في اخبار من ذهب،تحقيق:محمود الارنؤط ،دار ابن كثير ،بيروت/١٩٩٣م.

٢٦- الغمراوي،علي،اثر الثقافة الاسلامية في الفكر الاوربي،الرياض/١٩٨٢م.

٢٧- ابو الفدا، اسماعيل بن عماد الدين،(ت:٧٣٢هـ)، المختصر في اخبار البشر ،القاهرة/١٩٠٧م

٢٨- لويس، برنارد ،العرب في التاريخ، ترجمة: نبيه فارس ومحمود زايد، دار العلم ،بيروت/١٩٥٤م.

29- Lamb.H;The Crusades (the flame of Salam).London,1931

٣٠- مايرهوف،ماكس،العلوم والطب،ترجمة:جرجس فتح الله الحامي،ط٢،دار الطلبة،بيروت/١٩٧٢م.

٣١- مظهر ،جلال،اثر العرب في الحضارة الاوربية،دار الرائد،بيروت/١٩٦٧م.

٣٢- منتصر ،عبد الحميد،تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه،دار المعارف،القاهرة/١٩٨٠م.

٣٣- ابو المحاسن، جمال الدين يوسف بن تغري بردي ،(ت:٨٧٤هـ)،النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة،القاهرة ١٩٧١م

٣٤- النقاش ، زكي، العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والإفرنج خلال الحروب الصليبية، دار الكتاب ،بيروت/١٩٥٨م.

٣٥- هونكه،زيغريد، شمس العرب تسطع على الغرب،ط٥،ترجمة:فاروق بيضون ،دار الافاق، بيروت /١٩٨١م

٣٦- وول،ديورانت،قصة الحضارة،ترجمة: محمد بدران، ط٢،القاهرة/١٩٦٧م

٣٧- واط، مونتكمري، أثر الحضارة العربية الإسلامية على أوربا، ترجمة: جابر أبي جابر ، منشورات وزارة الثقافة ،دمشق/١٩٨١م